لغة الشعر وجمالياته عند مهدي جناح الكاظمي
قصيدة (أربعين الحسين) أنموذجًا

المدرس.أحمد جاسم ثاني
كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة البصرة

ahmedjth@gmail.com

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
صفر - ١٤٤٥ هـ, أيلول - ٢٠٢٣ م

ملخّص البحث

في هذا البحث نقف عند شيء من سيرة حياة الشاعر مهدي جناح الكاظمي، وخياله الشعري ومواطن الإبداع وبعض الظواهر الفنية والدلالية في شعره، مع نماذج تحليلية لمختارات من شعره الحسيني المنشور في ديوانه الموسوم (تعلمتُ من الحسين)، ثم نخصّص البحث عن قصيدة (أربعين الحسين) بالقراءة والتحليل اللغوي والجمالي لألفاظها وتراكيبها وما تضمنته من صور فنية، ودلالات تتناسب مع موضوعها وفكرتها.

الكلمات المفتاحية: اللغة، الدلالة، الشعر، البلاغة، مهدي جناح الكاظمي.

The language of poetry and its aesthetics according to Mahdi Jinnah Al-Kazemi
The poem (Arba'een of Hussein) as a model

teacher. Ahmed Jassim Thani

College of Education for Human Sciences
University of Basra

Abstracty

In this research, we stand at something from the life of the poet Mahdi Jinnah Al-Kazemi, his poetic imagination, places of creativity and some artistic and semantic phenomena in his poetry, with analytical models for selections from his Husseini poetry published in his tagged Diwan (I learned from

Hussein), then we devote the search to the poem (Forty Hussein).) by reading and linguistic and aesthetic analysis of its words and structures and the artistic images it contains, and connotations commensurate with its subject and idea.

Keywords: language, semantics, poetry, rhetoric, Mahdi Jinnah Al-Kazemi.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يمثّل الشعر اللسان الناطق الذي يدافع عن قضايا الإنسان ويوثّق الأحداث التاريخية، ويعبّر عنها بقوالب فنية تكون أبلغ أثرًا وأشد تأثيرًا في نفوس المتلقين.

وقد شكّلت القضية الحسينية ميدانًا رحبًا للشعراء والأدباء الذين تنوّعت مشاربهم وتعددت أساليبهم في تصوير الوقائع التي حدثت في عاشوراء وما سبقها من ارهاصات وما تلاها من ويلات ومحن على آل رسول الله ﷺ، ومن هؤلاء الشعراء شاعرنا الحسيني المعاصر الأديب البارع مهدي جناح الكاظمي الذي سخّر كل طاقاته لخدمة القضية الحسينية وخدمة أهل البيت عليهم السلام في مختلف المناسبات.

وفي هذا البحث نقف عند شيء من سيرة حياته وخياله الشعري ومواطن الإبداع، وبعض الظواهر الفنية والدلالية في شعره، مع نماذج تحليلية لمختارات من شعره الحسيني المنشور في ديوانه الموسوم (تعلمت من الحسين)، ثم نخصص البحث عن قصيدة (أربعين الحسين) بالتحليل اللغوي والجمالي لألفاظها وتراكيبها وما تضمنته من دلالات تتناسب مع موضوعها وفكرتها.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c - k a r b a l a . c o m
المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

سيرة الشاعر (www.aljawadain.iq:pdf:flags:PDF:201.pdf)

هو مهدي بن جواد بن كاظم بن عباس بن حسون بن خضير بن علي الربيعي الكاظمي، ولقب (جناح) لحق بالأسرة من جدهم (حسون) لسرعته ودقته في العمل ببساتين النخيل.

ولد الشاعر في الكاظمية المقدسة، قرب مرقدي الإمامين الكاظم والجواد عليهما السلام سنة ١٣٦٩هـ:١٩٥٠م في محلة أم النومي، ونشأ في أسرة موالية ومحبة لأهل البيت عليهم السلام، وبدأ كتابة الشعر في سن الخامسة عشرة وهو حينئذٍ طالب في مرحلة الدراسة المتوسطة، وقد حثه أستاذه الشاعر راضي مهدي السعيد على مواصلة قراءة الشعر العربي وكتابته، بعد أن عرض عليه الكاظمي قصائده وأُعجب بها.

وفي سنة ١٩٦٦م تردد الكاظمي على مسجد الشريف المرتضى، وتلقى دروسًا في العربية والمنطق والتجويد على يد العلامة الشيخ حامد الواعظي والشهيد السيد عدنان الحجازي، وأفاد من المكتبة العامة في المسجد، واطلع على المصادر الثقافية والأدبية ودواوين الشعر. وفي السنة نفسها ومنذ نعومة أظفاره بدأ بكتابة الشعر، فكتب أول قصيدة له في بيعة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير.

أشاد بشعره كبار الشعراء، ومنهم الجواهري، والسيد طالب الحيدري، وعبد الأمير الورد، وراضي مهدي السعيد، وعبد الرزاق عبد الواحد... وغيرهم، فضلًا عن نقّاد لهم ثقلهم أمثال العلامة حسين علي محفوظ، والعلامة السيد سامي البدري، والدكتور عناد غزوان... وغيرهم. وذكره العلامة الشيخ عبد الرحيم الغزّاوي في مؤلفه الكبير (معجم شعراء الشيعة) في الجزء الرابع والثلاثين، وذكر له عدة من قصائد في آل محمد عليهم السلام.

وفي ثمانينات القرن الميلادي الماضي تعرّض للسجن مرتين، وحكم عليه بالسجن المؤبد؛ لموقفه المعارض للسلطة الجائرة آنذاك، مما أدى إلى قيام أهله بحرق كثير من كتبه وأشعاره خوفًا من القمع والمتابعة.

الخيال والإبداع في شعره

إن الأديب الحق هو ((مَنْ يملك القدرة على لمّ أطراف التجربة وتكثيفها والجمع بين الانغماس في طياتها والقدرة على بلورتها وتجسيدها في عملٍ أدبي قوامه الألفاظ والتركيب والصورة التي تكسر حاجز الإلفة والرتابة وتتحرك بحرية في الآفاق والمجالات الحسية والمجرّدة)) (الداية: ٣٧)، لذا إن من يطّلع على شعر مهدي جناح يجده متفرّدًا عن غيره من الشعراء الحسينيين المعاصرين بسعة الخيال ورحابة الفضاء الشعري، إذ يمتاز شعره بتصوير فني بالغ في الروعة والجمال، وأسلوب أدبي غاية في الرقة والإبداع، مما يجعل المتلقي يتعايش مع حالة العاشق الذي ينطق بقلبه قبل لسانه، ويسطّر الكلمات بأنفاسه قبل قلمه، ويصوّر المعشوق تصويرًا دقيقًا واسع المدى، مما ينتج لوحات فنية ربما يعجز عنها كل فنان مهما حاول أن يحاكي التجربة ويروي الواقعة.

ظواهر فنية في شعر الكاظمي

وحينما نتصفح ديوان الكاظمي (تعلمتُ من الحسين) تطالعنا لوحات شعرية رائعة صاغها الشاعر بحسه المرهف وخياله الرحب، وتفاعل معها بنَفَسِه الحسيني الأصيل، مستعينًا بالفنون البيانية والتعبيرات المجازية، ومن هذه اللوحات الشعرية الفنية التي شكّلت صورة الإمام الحسين عليه السلام في شعر الكاظمي:

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

أولًا- الصورة التشبيهية:

قال الشاعر في إحدى قصائده التي تجوّل فيها بين رحاب آل محمد ﷺ (الكاظمي:١٣: ٣):

ورحتُ لكربلاء أسألُ النحرا
جرى في الأرضِ نهرًا أنبتَ الزهرا
حسينٌ عادَ فيها مرةً أُخرى
وعادَ الجرحُ سيفًا يصنعُ النصرا
لقد قتلَ الحسينُ بنحرهِ الشمرا

فهو يشبّه نحر الحسين بـ (النهر) الذي روّى أرض كربلاء بدمائه الزكية، ليبقى خط الشهادة منهجًا للأحرار. وعرّف الجرحَ بالسيف: (وعادَ الجرحُ سيفًا يصنعُ النصرا) وهي صورة تشبيهية تمثيلية رائعة.

وفي قولٍ آخر يصف الحسين بـ (البحر) وفيض جراحه لا ينفد، وهي صورة تشبيهية ضمنية، فكما أن البحر لا ينفد ماؤه كذلك هو الحسين وتضحيته وعطاؤه باقٍ مخلّد لا ينفد، يبعث في عشاقه روح الثورة ورفض الظلم والجور. فيقول (الكاظمي: ٢٠: ٣):

متدفقُ الشريان ينعم بالظما بحرٌ وفيضُ جراحه لا ينفدُ

وفي قوله(الكاظمي: ٤٢: ٣):

وطفُّكَ الخلودُ والليلُ والنهارُ
يطوفُكَ الوجودُ لأنك المـــدارُ

عرّف الطف بأنه الخلود، وهي صورة تمثيلية واسعة الفضاء، وزادها سعةً حينما عطف عليها صورتي الزمان (الليل والنهار) إشارة إلى حالة الخلود والأبدية للقضية الحسينية، وفي البيت الثاني يتسع الفضاء أكثر بالصورة المجازية حينما جعل الوجود بكل تفاصيله وسعته يطوف حول الحسين لأنه هو مدار الوجود، فيالها من صورة رائعة وياله من خيال رحب!

ثانيًا- الصورة المجازية:

لقد قتلَ الحسينُ بنحرهِ الشمرا

وفي قول الشاعر:

صورة مجازية جسّدت المعنى الحقيقي للنصر، إذ جعلت الفاعلية للإمام الحسين (قتلَ الحسينُ...) والمفعولية للشمر، فالحسين انتصر وعلا شأنه عبر تضحيته وتقديمه نفسه الزكية في سبيل الله، فنحره – رمز للدم – هو الذي قتل الشمر، والشمر – رمز لمعسكر يزيد – هو الذي مات وقُتِل عبر إقدامه على هذه الجريمة التي بكت لها السماء والأرض، فخسر الدنيا والآخرة، وبقيت تلاحقه اللعنة إلى يوم الدين، وهو ما تلخصه العبارة الشهيرة (انتصار الدم على السيف).

وفي مقطوعة أخرى نجد الوصف الحسيني متمثلًا بالحديث عن ذات الشاعر وانطباعه عن معشوقه، إذ يصوّره بدقة فنية عالية فيقول(الكاظمي: ٣:٢٠):

أنا بالحسينِ الوتر لذتُ بشافعٍ ... للمذنبين ومثله لا يوجدُ

محرابُ تسبيح الضمير جراحُهُ ... وهواه سلطان القلوبِ وسيّدُ

متدفقُ الشريان ينعم بالظما ... بحرٌ وفيضُ جراحه لا ينفدُ

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/ العدد الأول/ السنة الأولى

فنجد الصورة المجازية مركّبةً في الشطر الأول من البيت الثاني، إذ وصف جراح الحسين بمحراب تسبيح الضمير، فالصورة الأولى هي صورة تمثيلية (الجراح: هي محراب)، والصورة الثانية صورة مجازية استعارية (تسبيح الضمير)، إذ جعل للضمير تسبيحًا ونسب إليه المحراب، فاستعار ما هو محسوس لما هو معقول، ويستمر التصوير الفني في الشطر الثاني: فالهوى الحسيني سلطان القلوب، وهو تعبير عن مدى حبه للحسين ﷺ الذي ملك قلبه ومشاعره وقلوب كل العاشقين.

ومن جميل الصور الفنية الحسينية التي امتلكها الكاظمي وتصرّف بها طوع راحته قوله(الكاظمي: ٣:٤٤):

يا جاعلًا دَمَهُ الطهورَ رداءَهُ وحسامَه القرآنَ حينَ يصولُ

فاستعار الرداء للدم وهو وصف لحجم الدماء الزكية التي سالت من الحسين ﷺ من كثرة الجراحات التي تلقاها الجسد الطاهر، كما استعار القرآن للحسام الذي يصول به، وهي إشارة إلى تجلي القرآن الكريم في واقعة كربلاء، وما كان يردده الإمام في المعركة من القرآن في كل موقف وموطن ومناسبة.

ثالثًا- الصورة الرمزية:

تتكرر الألفاظ في الشعر الحسيني للكاظمي، من أمثالها: (الجرح: والنحر: والدم: والتسبيح: والعرش)، وتشكّل صورًا رمزيةً لها دلالاتها في بنية القصيدة، كما في قصيدة (الحسين مصباح الله) التي يقول(الكاظمي: ٣:٣٥):

يا إمام الجرح تبقى ثورةً بُورك الجرحُ وبُوركتَ إماما

يا صراطَ اللهِ دينُ اللهِ لو ... لم تهبْه النحرَ يومًا ما استقاما
يا أبا الأحرار بالنحر الذي ... دمه للعرش تسبيحًا تنامى

فهذه الألفاظ (الجرح: والنحر: والدم) كلها رموز توحي بمعاني الشهادة والتضحية والفداء، وقد أجاد الشاعر حينما عبّر عن عروج الدم إلى السماء بالتسبيح، فهو عمل خالص لله وفي سبيل الله، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر:١٠)، وهي صورة مستوحاة من مشاهد عاشوراء الأليمة حينما رمى الحسين دمه الطاهر ودماء أصحابه وأهل بيته نحو السماء ولم تسقط منها قطرة إلى الأرض كما ينقل التاريخ(ابن طاووس: ٦٩-٧٠)، أعاد صياغتها الشاعر بقالب فني وصورة رمزية ملؤها الجمال.

رابعًا- الصورة المقتبسة:

كل إنسان ينطلق من ثقافته في التعبير عن الأشياء، فالثقافة التي ينتمي إليها الشاعر تمثّل رصيده من المفردات والتراكيب والصور التي تتشكّل منها قصائده، ومعلوم أن شاعرنا الكاظمي نشأ في بيئة إسلامية أصيلة، جمع بين العلم والدين والأدب، فنتج عن ذلك ثقافة إسلامية خالصة، أساسها القرآن والتراث الروائي الأصيل، فضلًا عن المعاني التي طرحها الشعراء الكبار السابقون لزمانه، فهو في كثير من أشعاره يستقي الصور من تلك المنابع والعيون الصافية، ومن أمثلة ذلك قوله (الكاظمي: ٣٥:٣):

يا حسينَ اللهِ نهديك السلاما ... أيها المصباحُ أفزعتَ الظلاما
يا صراطَ اللهِ دينُ اللهِ لو ... لم تهبْه النحرَ يومًا ما استقاما

ففي العبارتين: (أيها المصباح)، و(يا صراط الله) تضمين لمعانٍ قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ...﴾ (النور:٣٥). وقوله تعالى: ﴿صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ...﴾ (الشورى:٥٣). كما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: ((والذي بعثني بالحق نبيًا إن الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض وإنه لمكتوبٌ عن يمين عرش الله عز وجل: مصباحُ هدىً وسفينةُ نجاة...)) (الشيخ الصدوق: ٢:٦٢).

وفي قصيدة يخاطب الشاعر نفسه قائلًا(الكاظمي: ٣:٢١):

وإذا وصلتِ إلى الحسينِ ... ولاحَ في دمهِ الطهورِ

طوفي بربِّ التضحياتِ ... وحولَ عرشِ الله دوري

فيصف الإمام الحسين بصفة (ربّ التضحيات)، وربّ كل شيء: أصله وملكه وسيّده، فيأمر النفس بأن تطوف بقبره الذي عبّر عنه في الشطر الثاني بـ (عرش الله)، وهو تعبير مناسب لمقام الإمام الحسين الذي قدّم كل شيء لله تعالى فأعطاه الله كل شيء، والمعاني التي يحملها هذا التعبير تدل على سعة الخيال للشاعر. والطواف من مفاهيم الحج ولا يكون الطواف إلا حول البيت الحرام، فهو يربط بين منزلة الحسين ومنزلة الكعبة التي تقع تحت العرش وتمثّل مركز الأرض(الشيخ الصدوق: ٢:٣٩٨)، ومن جانب آخر فإن الإمام الحسين قد حفظ حرمة البيت وخرج من مكة قاطعًا حجه بعدما علم بنوايا الأعداء الذين أصرّوا على قتله وإن كان متمسكًا بأستار الكعبة، وربما يكون الشاعر قد أفاد من هذه المعاني كلها، واقتبسها في لغته الشعرية.

وفي موضع آخر يقول:

لقد قتلَ الحسينُ بنحرهِ الشمرا

ويبدو أنها صورة مقتبسة من قول الوائلي – رحمه الله –(الوائلي: ١١١):

ظنوا بأن قتل الحسينَ يزيدُهم لكنما قتل الحسينُ يزيدا

ولا ينفك الكاظمي من اقتباس الألفاظ الإسلامية وما يتعلق بالقرآن والعقيدة مثل: (الوحي: والتنزيل: والتأويل: والرسالة: والرسول) إذ نجد ذلك واضحًا في قصيدته (قل ما تشاء) التي جاء في مطلعها(الكاظمي: ٣:٤٣):

قـل مـا تشـاء فقولـك التنزيـلُ ودمٌ جـرى مـن نحـرك التأويـلُ
سبحات وجهك في السماء تنهّدت وسرى بهـنَّ شرائعًـا جبريـلُ
تسقي الظماء وأنت يسقيك الظمى وضمائـرًا تُحيـي وأنـت قتيـلُ
ومبـشرٌ وجراحـــــه سـمّاره في كل جـرحٍ أمـةٌ ورسـولُ

فكل من (التنزيل: والتأويل: والشرائع: وجبريل: وأمة: ورسول) هي ألفاظ ومفاهيم أسس في البناء الإسلامي المتين، استمدّها النص من عقيدة الشاعر الراسخة؛ لتمنحه فضاءً رحبًا وسعةً وعموميةً، وهي ظاهرة مؤتلفة مع عالمية القضية الحسينية المقدسة، وكلها حاضرة في فكر الشاعر الحصيف.

خامسًا- الانزياح:

ومن جانب آخر نلاحظ أن الشاعر ربما يلجأ إلى الإنزياح، كما في عبارة: (ينعم بالظما)، في قوله(الكاظمي: ٣:٢٠):

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

أنا بالحسينِ الوتر لذتُ بشافعٍ للمذنبين ومثله لا يوجدُ
محرابُ تسبيح الضمير جراحُهُ وهواه سلطان القلوبِ وسيّدُ
متدفقُ الشريان ينعم بالظما بحرٌ وفيضُ جراحه لا ينفدُ

فالمعروف أن (النعيم) يُستعمل مع الراحة والسعادة، وربما أراد من هذا الوصف الإشارة إلى حالة الإمام الحسين عليه السلام الذي ذاب في حب الله تعالى وقدّم كل ما يملك من أجل مرضاته، فكل ما يلاقيه من آلامٍ وجراحٍ وظمأٍ هي بحقيقتها (نعيم)؛ لأنها بعين الله تعالى، وجزاؤها نعيم الجنة وراحتها.

ظواهر دلالية في شعره

يمتاز شعر الكاظمي بدقة اختيار الألفاظ وتوظيف الظواهر الدلالية في بناء النص مما يؤدي إلى تماسكه وإستظهار جمالياته، وحينما تلتقي وتتآزر الألفاظ الموحية والصور الشعرية المعبّرة عن الأحداث بلغة الفن تبلغ لغة الشعر ذروتها وقمة بلاغتها، ومن هذه الظواهر: التقابل، والتقارب، والتطور، والاعمام، وكما يأتي:

أولًا- التقابل الدلالي:

التقابل ظاهرة دلالية تدل على وجود لفظين أو تركيبين أو عبارتين متضادتين أو متخالفتين أو متناقضتين في الدلالة، بحيث يكون أحدهما ضد الآخر أو خلافه أو نقيضه بالمعنى، ويُدرك ذلك بالقرائن الدلالية المتعارف عليها، كالقرينة السياقية أو الحالية أو غيرهما(صلاح الدين: ٤١). ومن أمثلتها في شعر الكاظمي(الكاظمي: ٣:٢٠):

متدفقُ الشريان ينعم بالظما بحرٌ وفيضُ جراحه لا ينفدُ

إذ أجاد الشاعر بالمقابلة بين صورتين: صورة التضحية الحسينية والجود بالنفس وتمثلها عبارة (متدفق الشريان) وهي صورة رمزت للشهادة، وصورة (الظمأ والعطش) الذي أخذ مأخذًا كبيرًا من الحسين ﷺ في عاشوراء، ومثّل صورة بارزة من صور اللوعة والمأساة، فثمة تقابل بين (التدفق: والظما).

وفي قوله أيضًا(الكاظمي: ٣:٣٥):

يا حسينَ اللهِ نهديك السلاما أيها المصباحُ أفزعتَ الظلاما

فثمة تقابل بين (نور) الحسين و(ظلام) أعدائه.

وفي قوله(الكاظمي: ٣:٤٣):

تسقي الظماء وأنت يسقيك الظما وضمائرًا تُحيي وأنت قتيلُ

يقابل بين صورتين؛ صورة الكرم والعطاء الحسيني وصورة المعاناة والألم التي تجرّعها أبو لأحرار ﷺ وفي مقدمتها ظاهرة العطش ومنع الماء عن معسكره: (تسقي الظماء: وأنت يسقيك الظما)، كما قابل في الشطر الثاني بين صورتي الحياة والقتل: (وضمائرًا تُحيي: وأنت قتيلُ)، مشيرًا إلى أن الشهيد حيٌّ لم يمت ولن يموت يُمدنا بالحياة، حياة الضمير والقلب والفكر التي هي أهم من حياة الأبدان.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c - k a r b a l a . c o m
المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

ثانيًا- التقارب الدلالي:

ويُقصَد به تقارب لفظين في معنييهما، ولكن يختلف أحدهما عن الأخر بفرق دلالي واحد على الأقل(عبد العبود: ٢٣٩)، كالفرق بين لفظي (الصراط) و(الاستقامة) اللذين وردا في قول الشاعر(الكاظمي: ٣٥:٣):

يا صراطَ اللهِ دينُ اللهِ لو لم تهبْه النحرَ يومًا ما استقاما

وثمة تقارب دلالي بين اللفظين، مع وجود الفرق، فالصراط هو اسم يُطلق على ((الطريق المستقيم)) (الأصفهاني: ٢٨٣)، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ (الأنعام:١٥٣)، والاستقامة صفة تُطلَق على ((الطريق الذي يكون على خطٍ مستوٍ وبه شُبّه طريق المُحقّ)) (الأصفهاني: ٤١٨) قال تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ (الفاتحة:٦)، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (هود:٥٦).

ثالثًا- التطور الدلالي:

هو((تغيير يحدث لدلالة اللفظ فيكسبه دلالةً جديدة، لأن الدلالة علاقة بين اللفظ والمعنى)) (جاسم ، : ١٢٧ ، ١٩٩٨م)، ومن أمثلة ذلك ما ورد في قوله(الكاظمي: ٤٢:٣):

وطفُّكَ الخلودُ والليلُ والنهارُ
يطوفُكَ الوجودُ لأنك المدارُ

فمن المعلوم أن الطفّ من أسماء كربلاء(الفراهيدي ٤٠٦:٧ ؛ الإفريقي: ٢٢١:٩؛ الحنفي: ٣٥٥:١٢)، وقد تطورت دلالة هذه المفردة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام فصارت ملازمة للنهضة المباركة وعَلَمًا عليها، فيُقال: يوم الطف، وحادثة الطف وواقعة الطف... فانتقلت الدلالة من مكان الحدث إلى زمانه.

رابعًا- الاعمام الدلالي:

ويُراد به ((الانتقال بالمعنى من معنى خاص إلى معنى عام)) (عبد العبود: ١٨٤)، ولهذا المصطلح تسميات أخرى، مثل (توسيع المعنى)، أو (امتداد المعنى) (عبد العبود: ١٨٤).

ومن صور الاعمام الدلالي في شعر الكاظمي قوله(الكاظمي: ٤٤: ٣):

كلُّ العروش إلى ضريحك أذعنت ... وإليكَ يسعى التاجُ والإكليلُ
وإزاءَ قامتِك المديدة تنحني ... هامُ الوجودِ وفي ذراك تقيلُ
وتطيعك الأقدارُ وهي عصيةٌ ... ولك القضا يُصغي وأنت تقولُ
لكَ أنتَ سلطانَ الزمانِ ورمزه ... ما لاحَ في كل العصورِ مثيلُ

فهذا الاعمام في عبارة (كل العروش) وصورة (انحناء هام الوجود) وصورة (طاعة القدر والقضاء) فضلًا عن عبارة (سلطان الزمان) و(انتفاء المثيل)، كلها تفضي بالنص الشعري إلى الانفتاح على الفضاء الحسيني الرحب الذي تجوّل فيه شاعرنا وصوره خير تصوير.

ومن صور الاعمام أيضًا إضافة اسم الحسين عليه السلام إلى لفظ الجلالة، فينسبه إلى الله تعالى ويضيفه إليه (حسين الله) ويصفه بعظيم الوصف، وما من شك بأن الحسين عليه السلام هو حبيب الله تعالى، وهذه الصفات تليق بمقامه الشريف. من ذلك مثلًا قوله(الكاظمي: ٣٧: ٣):

هاتفٌ طلَّ سماويُّ الصدى ... يا حسينَ الله جاوزتَ المدى

قصيدة (أربعين الحسين) قراءة تحليلية

وفي هذا القسم من البحث نأتي على قصيدة (أربعين الحسين) لنقرأها قراءة تحليلية متدرجين فيها بحسب بنائها الخارجي؛ وذلك للمحافظة على ترتيب الصور والمعاني والأحداث التي تضمنتها، لا على أساس الظواهر الفنية والدلالية التي وردت فيها.

فهي تروي بمقاطعها الستة الأحداثَ التي تلت واقعة كربلاء ومسير السبايا إلى الشام، أي إنها توثّق الحدث الأول للأربعينية. فالشاعر يصف عودة السبايا من الشام إلى كربلاء، وقد جعل هذا الوصف على لسان السيدة زينب ﷺ كما صرّحت بذلك عتبة النص (عودة زينب والسبايا) التي وردت في الديوان قبل عنوان القصيدة، وفي مطلعها يقول(الكاظمي: ١٧٩: ٣):

هذي رزايانا تبكي ســـبايانا
عدنا من الأسرِ للطفِّ والنــحرِ

ففي مطلع هذه القصيدة نجد حضورًا للتعبير الفني المؤثر، فكل شيء يبكي لحال السبايا حتى الرزايا نفسها تبكي لحالهم، وهي صورة استعارية أراد بها الشاعر تصوير حجم المأساة التي مرّت على آل بيت رسول الله ﷺ، فبعد هذا المسير الذي دام أربعين يومًا وما رافقه من ويلات، عادوا إلى أرض الفداء والتضحية، أرض الطف التي سالت عليها الدماء الزكية، واحتضنت في باطنها الأجساد الطاهرة، وقد عبّر الشاعر عنها بصورة رمزية متمثلة بلفظة (النحر) التي تشير إلى موضع مصرع الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه من الشهداء ﷺ.

ثم يبدأ الشاعر بسرد الأحداث التي رافقت هذا المسير الطويل والشاق فيقول:

لقد عـــــدنا من الشام	وعادَ الرأسُ حادينا
بنا للحـــــزنِ ألوانٌ	عجيبـــــاتٌ مآسينا
وهذا رأسُك الأعجب	أتى من أســـرنا فينا
به جـــــبريلُ مأتمٌ	ويبكيهِ ويَبكـــــــينا

وفي هذا المقطع من القصيدة سلّط الضوء على رمزية الرأس الشريف للإمام الحسين، فالرأس يحدي السبايا ويرعاهم بعينه طوال الطريق، فيشير إلى معجزة تلاوة القرآن وهو على الرمح، وقد رمز إليها بعبارة: (وهذا رأسُك الأعجب)، وفي هذه العبارة اقتباس من مقولة زيد بن أرقم الذي قال (رأسك يا ابن رسول الله أعجب وأعجب) حينما سمعه يقرأ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾(المجلسي: ٤٥:١٢١ ؛ والآية من سورة الكهف:٩). وفي عبارة: (به جبريلُ مأتمٌ) رمز آخر لمعجزة الرأس، فجبريل عليه السلام هو الوحي الذي نزل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله.

وتستمر القصيدة في سرد أحداث الأربعين، وقد صوّرها الشاعر بأدق التعابير الفنية التي توحي بسعة الخيال وحجم المأساة، من ذلك ما وصف به حالة الإمام السجاد عليه السلام وهو في طريق الأسر، والدماء التي سالت من جسده الطاهر لتكبيله بقيود الحديد، وحالة النساء السبيات والسيدة زينب التي تحملت كل هذه المصائب، فيقول(الكاظمي: ٣:١٧٩)

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/ العدد الأول/ السنة الأولى

جِراحُ الأسرِ ما زالت بشريانِ الهدى تَجري
فكم من حرةٍ أبكتْ عيون الليل والفجرِ
وكــم من آهة حــرّى وكم سوطٍ وكم شمرِ

فعبّرت الصورة الرمزية (شريان الهدى) عن الإمام السجاد، وأدت الصورة الاستعارية معنى بليغًا للحزن والأسى في عبارة (أبكت عيون الليل والفجر)، وفي لفظي (السوط: والشمر) رمز لما تعرّضت له السبايا من الضرب على أيدي الأعداء.

ثم يتحوّل خطاب السيدة زينب إلى كربلاء فتقول مخاطبة إياها(الكاظمي: ٣:١٨٠):

ألا يا كــــربلا عُدنا إليكِ اليــومَ ننعاكِ
نسائل عــــن ضحايانا وعن أشــلاء مولاكِ
حسينِ المصطفى الظامي وعن شــريانه الزاكي
لقد أعطــــيتِهِ قبرًا وكل المجــدِ أعطاكِ

وفي إضافة الحسين عليه السلام للمصطفى صلى الله عليه وآله، اقتباس للحديث النبوي: ((حسين مني وأنا من حسين)) (المجلسي: ٤٣:٢٧١)، ولفظة (الشريان) رمز للدماء الطاهرة، وفي البيت الأخير مقابلة جميلة بين عطاء أرض كربلاء وعطاء الحسين عليه السلام: (أعطيتِهِ قبرًا = كل المجد أعطاكِ)، فكربلاء التي أعطته قبرًا محدود الحجم من الناحية المادية، أعطاها شرفًا عظيمًا ومجدًا مؤثلًا حينما تضمّنت جسده الطاهر، فصارت أرض كربلاء مقدسةً بوجوده المقدس، تؤمّها ملايين الناس في كل عام.

ثم يُعرّج الشاعر على أبي الفضل العباس عليه السلام ولا يزال الخطاب موجهًا إلى كربلاء(الكاظمي: ٣:١٨٠):

بنا سيري إلى الكفينِ ذات الطُّول والعرضِ
لنهر العلقمي نبكي بكاء القلبِ للنبضِ
لعينِ الفضلِ ننعاها إلى عباسنا نمضي
وقولي زينبٌ سارتْ ومن أرضٍ إلى أرضِ

فالصورة الرمزية حاضرة بوضوح في هذا المقطع، إذ جاء الشاعر بـ (الكفين: ونهر العلقمي: وعين الفضل) وكلها رموز اقترنت بشخصية أبي الفضل عليه السلام، وبعدها صرّح باسمه: (إلى عباسنا نمضي)، ووشّح هذا النص بصورة تشبيهية جميلة واستعارية في الوقت ذاته: (نبكي بكاء القلب للنبض)، وفي ختام النص إشارة إلى كفالته للسيدة زينب: (وقولي زينبٌ سارتْ ...)، تماشيًا مع عادة الموروث الحسيني الذي يربط بين الكفيل وزينب.

وفي المقطع التالي يعرّج على ذكر الأصحاب الذين ناصروا الحسين وقدّموا أنفسهم بين يديه من أجل الدين، واصفًا إياهم بمعاني الشجاعة والفداء والتضحية (الكاظمي:١٨٠:٣-١٨١):

وأصحابٌ لنا كانوا بوقتِ الضِّيقِ أنصارا
أُباةٌ حيثُ ما حلّوا قَضَوا في الطفِ أحرارا
ليوثُ اللهِ في الهيجا بهم حُبُّ العُلا سارا
وإمّا تظمأُ الدُنيا جَرَوا في الأرضِ أنهارا

بصورة استعارية مبالغةً في شجاعتهم وشدة بأسهم: (ليوثُ الله في الهيجا)، وأردف ذلك بتقابل صورتين رمزيتين: (تظمأ الدنيا = جروا في الأرض أنهارا) فظمأ الدنيا رمز عن انتشار الظلم وطغيان الفساد، وكأن الدين يمر بحالة الجفاف والجفو

فيحتاج إلى من يضحّي بدمه من أجل إروائه، والأنهار رمز لتلك الدماء الزكية التي روّت الدين وأعادت الإسلام إلى نصابه بعد ما حاول بنو أمية طمس مبادئه والقضاء عليه.

وفي ختام القصيدة يتحول الخطاب الذي جرى على لسان السيدة زينب إلى وصف ذاتها، فتصف حيرتها وندبتها لأخيها الحسين عليه السلام، وتعقد الأمل على ظهور صاحب الثأر ليأخذ بحقهم من الظالمين(الكاظمي: ١٨١:٣):

وهذي زينبٌ عادت	إلى أرض البلا حَيرى
توفّي المرتضى عهدًا	توفّي أمّها الزهرا
حسينٌ يا أخي صاحت	بصوتٍ زلزلَ الدهرا
سيبقا جَرحُنا يجري	إلى أن يأخُذ الثارا

فالدور الذي قامت به العقيلة زينب هو عهدٌ معهود من أبيها علي عليه السلام وأمها الزهراء عليها السلام، وصرختها وندبتها لأخيها الشهيد التي زلزلت الدهر لا تزال مدوّية إلى أن يأذن الله لصاحب الثأر بالظهور ليأخذ بحقهم وينتقم ممن ظلمهم.

الخاتمة:

وبعد هذه الجولة الحسينية الشيّقة في شعر الكاظمي الذي برع في وصف القضية الحسينية لابد لنا من الوقوف عند بعض النقاط التي تلخّص ثمرة البحث، كما يأتي:

١. الشاعر مهدي جناح الكاظمي من الشعراء المعاصرين الذين قل نظيرهم؛ لكونه يجمع بين التراث والمعاصرة في شعره من خلال استعانته بالموروث الإسلامي ووضعه في قوالب الحداثة، فقد أبدع في لغته الشعرية وتصويره الفني.

٢. اتسم شعره بسعة الأفق الدلالي في الألفاظ والتراكيب الذي عبرنا عنه بسعة الفضاء الحسيني، من خلال انتقائه للمعاني العميقة والشمولية التي تتناسب مع شمولية النهضة الحسينية وعالميتها، متوسلًا إلى ذلك بكثرة الصور الفنية ولاسيما الرمزية منها.

٣. أغلب قصائده الحسينية هي قصائد منبرية، وفيها تسجيل دقيق وموضوعي للأحداث التاريخية ممزوج باللوعة والحرقة لمصائب أهل البيت. وهذا ما نجده في النصوص التي ذكرناها في البحث، ومنها قصيدة (أربعين الحسين).

المصادر:

- القرآن الكريم.

١. بحار الأنوار، المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان ، ط:٢، ١٤٠٣هـ.

٢. تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

٣. تعلمت من الحسين، مهدي جناح الكاظمي، انتشارات حضرت عباس عليه السلام، ط:١، ١٤٣٥هـ.

٤. التقابل الدلالي في القرآن الكريم، د. منال صلاح الدين، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط:١، ٢٠١٣م.

٥.جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي، د. فايز الداية، دار الفكر، بيروت- لبنان، ٢٠٠٣م.

٦.ديوان الوائلي، الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، مؤسسة البلاغ، دار سلوني، لبنان، ط:١، ٢٠٠٧م.

٧.علل الشرائع، الشيخ الصدوق، (د.مط)، (د.ط)، ١٩٦٦م.

٨.العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، ط:٢، مؤسسة دار الهجرة، مطبعة صدر، إيران، ١٤٠٩ هـ.

٩.عيون أخبار الرضا ﷺ، الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق وتقديم: حسين الأعلمي، (د.ط)، ١٩٨٤م.

١٠.لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، ط:١، دار إحياء التراث العربي، نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥ هـ.

١١.اللهوف في قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس، ط:١، ١٤١٧هـ (د. مط).

١٢.المباحث اللغوية في تفسير مجمع البيان للطبرسي، د. علي عبيد جاسم (أطروحة دكتوراه)، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٨ م

١٣.مصطلحات الدلالة العربية – دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، د. جاسم محمد عبد العبود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط:١، ٢٠٠٧ م.

١٤.المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني، ط:٥، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٨ هـ.

١٥.موقع الجوادين (انترنت): www.aljawadain.iq:pdf:flags:PDF:201.pdf